مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد18 العدد 3 (السداسي الثاني 2026)
ص. 753 – 782

مظاهر الإعجاز البياني في المعوذتين عند الإمام عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره

Aspects of Rhetorical Miraculousness in the Two Surahs of Seeking Refuge (Al-Mu'awwidhatayn) According to Imam Abdul Hamid Ibn Badis Through His Tafsir

فارس بومعيزة[1*]، أ.د عاشور مزيلخ[2]

[1] جامعة الجزائر1بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها (الجزائر)
f.boumaiza@univ-alger.dz

[2] جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)
a.mezilakh@univ-alger.dz

تاريخ الارسال: 2025/10/02 تاريخ القبول: 2026/06/05 تاريخ النشر: 2026/09/28

ملخص:

لقد شغل الدرس الإعجازي علماء الإسلام قديما وحديثا، فحاولوا من خلاله بيان عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن الذي يختلف عن كلام أي مخلوق، سواء في أسلوبه ونظمه، أو بلاغته وترابط آياته وسوره.

وقد حاولنا من خلال بحثنا هذا تسليط الضوء على مظاهر الإعجاز البياني المتعلقة بقصار السور من خلال تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس، وقد قصرنا بحثنا بدراسة المعوذتين، هاتان السورتان – على قلة ألفاظهما- قد أظهرتا قوة عجيبة في التراكيب، ومتانة جزلة في الأسلوب، وترابطا وثيقا في أجزاء النص، وبراعة مثالية في النظم، ما يعجز أي إنسان مهما كان مستواه أن يأتي بمثل القرآن ولو بأقصر سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز - المعوذتان – التفسير– عبد الحميد بن باديس.

[*] المؤلف المرسل

Abstract:

The study of the Qur'anic miraculousness (i'jaz) has long occupied Islamic scholars, both in the past and in modern times, as they sought to demonstrate the inability of human beings to produce anything like the Qur'an, which differs from any human speech — whether in its style and structure, its eloquence and composition, or the coherence of its verses and chapters. In this research, we aimed to shed light on the aspects of miraculousness found in the shorter surahs of the Qur'an, in addition to the longer ones, through the tafsir (exegesis) of Imam Abdul Hamid Ibn Badis. Our study focused specifically on the two surahs of seeking refuge (Al-Mu'awwidhatayn). Despite the brevity of their wording, these two surahs exhibit astonishing strength in composition, solid and eloquent style, tight textual cohesion, and exemplary structural artistry — to such a degree that no human, regardless of ability, could ever produce anything like the Qur'an, not even a single short surah, even if they supported one another in the attempt.

Keywords: Miraculousness – Al-Mu'awwidhatayn – Tafsir – Abdul Hamid Ibn Badis

مقدمة:

الحمد لله العظيم، منزل الكتاب المبين، وبه فضلنا على الأمم أجمعين، وآتانا به ما لم يؤت أحدا من العالمين؛ جعله خاتم الشرائع السماوية، وحجة على عموم البشرية وهداية دائمة وعالمية، والصلاة والسلام على من اصطفاه الله بالبيان والفرقان، فكان خلقه القرآن، وميراثه القرآن، هو القائل: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

فاللهم اجعلنا من ورّاث نبيك الكريم، ويسر لنا حفظه، وارزقنا تدبره، وحبب إلينا تلاوته، واجعلنا به مستمسكين وبهدي نبيك الكريم مهتدين، وارزقنا شفاعته يوم الدين. أما بعد:

من نعم الله سبحانه وتعالى علينا أن وفقنا للكتابة في موضوع له صلة بالكتاب العزيز، ويسّر لنا المشاركة بحظّ من البحث نبرز من خلاله إعجاز القرآن المبين، هذا الأخير الذي شغل المتقدمين والمتأخرين، وحاولوا من خلال دراساتهم إبراز وجوه الإعجاز، وإظهار جماليات أسلوب الكتاب العظيم، الذي امتنع أقحاح العرب أن يأتوا بمثله ولو كانوا

مجتمعين، فصدق الله حين يقول: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨} [سورة الإسراء:88].

ولا شك أنه لكل بلد علماء، وأن لهذا القرآن مفسرين أجلاء وشرّاح فضلاء، أفنوا أعمارهم لكشف أسرار هذا الكتاب، وتسهيل ما استشكل على قارئيه من صعاب، وبيان سبب إعجاز القرآن لأفصح العرب وأبلغ من نطق بلغة الضاد، ومن هؤلاء العلماء الفضلاء الإمام عبد الحميد بن باديس الذي رزقه الله بلاغة وحسن بيان، وفهما عجيبا لآي القرآن، استطاع من خلاله الكشف عن أسراره البلاغية ودرره البيانية، وبيان ما حواه بين دفتيه من آيات كونية، فكان موضوع بحثنا متعلق بمادة الإعجاز، فأسميناه على بركة الله: (مظاهر الإعجاز البياني في المعوذتين عند الإمام عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره)

أهمية البحث:

لا أحد ينكر جهود الإمام عبد الحميد بن باديس في تفسير القرآن الكريم وخدمة هذا الدين، فآثاره شاهدة على ذلك، ودرس تفسيره دليل على براعته وتفننه، ولكن للأسف كثير من أبناء هذا الوطن لم يعرفوا لهذا العالم حقه، ولم يكلفوا أنفسهم الاطلاع على تراثه ولم يزينوا رفوف مكتباتهم بتفسيره وآثاره، فكأنهم زهدوا عنها بغيرها، فأردنا ببحثنا هذا أن نشهّر آثار هذا العالم الفذ، ونرفع قدره ليتبوأ مقعدا رفيعا بين أجلاء العلماء، هذا بالنسبة لشخصية هذا الإمام، أما ما يتعلق بالمادة العلمية للبحث فأهميتها تكمن في اتصالها المباشر بالكتاب العزيز، لكونه دستور الأمة، والمورد العذب لزيادة الإيمان، والتعريف بالإله الملك الديان، فبموضوع الإعجاز يَظهر تميز القرآن واختلافه عن بقية الكتب، كما أنه دليل قوي على نبوة محمد ﷺ، وأن لهذا الكون إله خالق هو المستحق لصرف العبادة إليه.

إشكالية البحث:

من المقرر عند العلماء أن الإعجاز البياني حاصل في جميع السور القرآنية؛ طوالها وقصارها، والله سبحانه وتعالى حين تحدى العرب أن يأتوا بسورة تشبه كلامه لم يشترط عليهم أن تكون من الطوال فحسب، بل ترك لهم الخيار في ذلك، وأطلق لهم العنان حتى في قصار السور، ومع ذلك عجزوا كلهم أجمعون، ولم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا. فما هو السر في عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن ولو بأقصر سورة من مثله؟ وهل كان لدرس الإعجاز حضورا في السور القصار وبالأخص في المعوذتين؟ وهل وفق الإمام ابن باديس في

بيان معالم الإعجاز من خلال سورتي الفلق والناس؟ وما مدى اعتماد ابن باديس على من سبقه من المفسرين؟

الدراسات السابقة:

من الضروري لكل مفسر للقرآن أن يختم تفسيره بالمعوذات؛ الإخلاص والفلق والناس، ولكن ليست كل التفاسير تهتم بالتحليل البياني ولا التطرق إلى الدرس الإعجازي، فهناك من يراعي في تفسيره الجانب العقدي كتفسير الطبري، وبعضهم يغلب عليه الفقه وأصوله كتفسير القرطبي، ومنهم من يرتكز تفسيره على البلاغة والبيان وإظهار أوجه إعجاز القرآن كتفسير الكشاف للزمخشري ومفاتيح الغيب للإمام الرازي وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ومجالس التذكير لعبد الحميد بن باديس، فأصحاب هذه التفاسير كثيرا ما يتطرقون فيها لمسائل البلاغة ووجوه الإعجاز التي انطوت عليها آيات القرآن.

أما البحوث والدراسات العامة التي عالجت السور الخواتم الثلاث فكثيرة جدا، وهذا راجع لأهميتها في حياة المسلم ولموقعها وترتيبها الختامي للمصحف الشريف، أما البحوث التي اهتمت بدراسة الجانب الإعجازي لهذه السور فلم نجد في حدود علمنا من جمعها في بحث واحد، وإنما هي بحوث في غالبها تناولت كل سورة على حدة، بالإضافة إلى أننا لم نقف – في حدود علمنا - على أي باحث تناول الدرس الإعجازي للمعوذتين عند الإمام عبد الحميد بن باديس ، ولا بأس لنا هنا أن نذكر بعضا منها:

1 _ الإعجاز الطبي والهندسي في المعوذتين للدكتور زيد قاسم محمد عزاوي.
2 _ بلاغة الإيجاز في سورة الناس للمؤلفة حويشي أم كلثوم.
3 _ البنية الصوتية ودلالتها في سورة الفلق دراسة وصفية حاسوبية للمؤلف خديجة بهلول.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، حيث قمنا بجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بالموضوع واستقراء مواقعها وتتبع جزئياتها وتقديمها بشكل مفصل، ثم قمت بتحليل تلك البيانات على وفق ما جاء في تفسير عبد الحميد بن باديس مع الرجوع إلى التفاسير التي اتخذها الإمام عمدة لتفسيره، وذكر الأقوال والآراء التي تخدم موضوع بحثنا، وعليه كانت خطة بحثنا مبنية على: مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فهي عبارة عن خلفية عامة لموضوع البحث، تطرقنا فيها إلى ذكر ما جرت به العادة في البحوث الأكاديمية، أما التمهيد فورد فيه بعض مزايا القرآن وتفرده عن سائر الكلام.

وبالنسبة للمبحث الأول فهو عبارة عن دراسة مفاهمية لمصطلحات البحث، والتعريف بالإمام عبد الحميد بن باديس وبتفسيره تعريفا مختصرا.

وأما المبحث الثاني فهو عبارة عن دراسة تطبيقية أظهرنا من خلالها مظاهر الإعجاز عند ابن باديس من خلال السورتين الأخيرتين من المصحف الشريف.

ثم ختمنا البحث بذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها.

تمهيد:

القرآن كتاب الدهر لا يشبهه في تراكيبه ومعانيه أيّ كتاب، سواء أكان سماويا أو أرضيّا، فهو الوحيد الذي لا ترثّ[1] معانيه بكثرة البحث فيه، ولا تنضو أفكاره ولا ينضب عطاؤه، كلما قرأته بتدبر ازددت له حبًّا وبحثا، يفتح الله على قارئه اليوم ما لم يفتحه عليه بالأمس، تكون منه لو قرأته ألف مرة كمن قرأ من غيره ألف كتاب، ومن يستزد منه يزده، "ومن إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين والعلماء جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبدا رحب المدى سخيَّ المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عاليا يفوق طاقة الدارسين "[2].

ومن إعجاز القرآن أن تنحصر بين دفتيه ألفاظه وكلامه ولا حد لأفكاره ومعانيه، فكل كلام له حدّ يبلغه معناه إلاّ كلام الله.

المبحث الأول: دراسة مفاهمية لمصطلحات البحث

جرت عادة الباحثين والمؤلفين عند دراستهم لأي موضوع أن يستفتحوا بحثهم بتحديد المفاهيم والمصطلحات، حتى يتضح المعنى للقارئ، وتتجلى الفكرة لديه، كما تساعد التعريفات على تنظيم البحث وتحديد مساره، وتُجَنِّبُ المؤلف الوقوع في الغموض وسوء الفهم.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز

أولا: المفهوم اللغوي للمعجزة.

ذكر ابن فارس (395هـ) في معجمه: "(عَجَزَ) الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ.

فَالْأَوَّلُ عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ. وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَجْزَ نَقِيضُ الْحَزْمِ ... وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالْعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَعْجَازٌ"[3].

(1) ترثّ: أي تبلى

(2) الإعجاز البياني للقرآن. عائشة عبد الرحمن. ص 17. دار المعارف. ط3

(3)مقاييس اللغة. احمد بن فارس بن زكريا القزويني، 232/4. دار الفكر. د.ط/1979م.

أمَّا بالنسبة لابن منظور(711ه) فقد بسط القول في مادة عجز واشتقاقاتها وتصريفاتها، خلاصة كلامه ما نصه: "عجز: العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْم... والعَجْزُ: الضَّعْفُ، تَقُولُ: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعْجِز...والمَعْجِزَةُ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا، مَفْعِلَةٌ مِنَ العَجْز: عَدَمُ الْقُدْرَةِ... والتَّعْجِيزُ: التَّثْبِيط.. والمُعْجِزَةُ: وَاحِدَةُ مُعْجِزات الأَنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وأَعْجاز الأُمور: أَواخِرُها. وعَجْزُ الشَّيْءِ: آخِرُهُ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ...وَالْجَمْعُ أَعجاز، لَا يُكَسَّر عَلَى غَيْرِ ذلك"[1].

أمّا الفيروز آبادي (817) فيقول: "العَجْز: كتف مؤخر الشيء، والعَجْز والمَعجِز والمَعجِزَة والعَجُزان والعجوز التي تدل على الوهن... والتعجيز: التثبيط، ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم ما أعجز به الخصم عند التحدي"[2].

فمن خلال هذه التعريفات اللغوية ندرك أن مادة (عجز) تدل على أصلين اثنين:

الأول: مؤخر الشيء.

والثاني: الضعف الذي هو نقيض الحزم.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للمعجزة:

تعددت تعريفات مصطلح المعجزة لدى الباحثين؛ من مفسرين، وبلاغيين، ومختصين في علوم القرآن، نذكر منها:

عرّفها السيوطي(911ه) بقوله: "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وهي إما حسية، وإما عقلية"[3].

أما صاحب كتاب التعريفات فعرفها بقوله: "المعجزة: أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوّة، قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول من الله"[4].

(1)لسان العرب لابن منظور ج5 ص370 دار صادر بيروت لبنان ط1414/3ه.

(2)القاموس المحيط الفيروز آبادي ص 516 مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع بيروت .لبنان .ط8 /2005.

(3) الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ج4 ص3 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.

(4) التعريفات. الشريف الجرجاني. ص239. دار ابن الجوزي. القاهرة. ط2018/1م.

وتعريف السيوطي للمعجزة هو من أشهر التعريفات، حيث تلقّته الأمّة بعده بالقبول، ودرج علية الكثير من العلماء والباحثين؛ منهم نعيم الحمصي[1]، وأحمد جمال العمري[2]، فقلّ أن تجد كتابا يتطرق لموضوع الإعجاز ولا يذكر بين ثناياه تعريف السيوطي للمعجزة.

ثالثا: تعريف إعجاز القرآن

(إعجاز القرآن): مركب إضافي، أُضِيف فيه المصدر إلى القرآن، وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، ويمكننا تعريفه كمركب إضافي: "عدم قدرة الكافرين [إنسهم وجنهم] على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله رغم توفّر ملكتهم البيانية، وقيام الدّاعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم وتقرير عجزهم عن ذلك"[3] فالله تحدّى الخلق أن يأتوا بمثل كلامه أو بشيء من مثله وأرخى لهم العنان في ذلك ولكن أثبت القرآن عجزهم عن الإتيان بما تحدّاهم به.

المطلب الثاني: مباحث متعلقة بالمعوذتين

قد اخترنا الحديث عن السورتين معا لأن النبي ﷺ جمع بينهما في أكثر من مناسبة، كما أن بينهما ارتباط وثيق من ناحية المعنى وسبب النزول والفضائل واتّحاد اللقب، لهذا كان من الضروري أن لا نفصل بينهما في الكلام عن خصائصهما.

أولا: سبب نزولهما: اشتهر عند العلماء والمفسرين أن السورتين نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ، كما صرح أبو حيان[4] والواحدي بذلك[5]، وذكر الإمام الرازي في تفسيره أن هذا هو قول جمهور المفسرين[6]، وقد ردّ كثير من المفسرين هذا القول – قصه سحر لبيد للنبي - منهم الطاهر بن عاشور[7]، وقال عبد الحميد بن باديس:

(1) ينظر فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر نعيم الحمصي ص7 مؤسسة الرسالة ط2/1980م.

(2) ينظر مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ص29.

(3) إعجاز القرآن المجيد. فضل حسن عباس. ص19. ينظر عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم. محمد السيد جبريل ص7.مجمع الملك فهد في طباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

(4) البحر المحيط. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي. 574/10. تحقيق صدقي محمد جميل. دار الفكر. بيروت. ط1420هـ.

(5) ينظر الوسيط في تفسير القرآن المجيد. علي بن أحمد الواحدي. 572/4 . دار الكتب العلمية. بيروت لبنان .ط1/1994.

(6) ينظر مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي. 368/32.

(7) ينظر التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور. 624/30.

" وأما ما يذكر في نزولها في قصة سحر النبي ﷺ فإن ذلك لم يصح سبباً لنزولها. وإن كان لقصة السّحر وصاحبها لبيد بن الأعصم أصل ثابت في الصحيح. وقد تساهل كثير من المفسرين في حشر هذا السبب في تفسيرهما وفي حشر كثير مما لم يصح في فضائلهما، ولنا فيما صحّ غنية فيما لم يصح"[1]، ويرى ابن باديس أن الصحيح في سبب نزول هاتين السورتين ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير خير منهن قط؛ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"[2]، ثم قال بعد ذلك: " وحديث مسلم هو أصح ما ورد في نزولهما"[3]. وسبب رد قصّة سحر النّبيّ أن ذلك قدح في النبوة، إذ لا يصح أن يقع للنبي ما كانت تعيّره به كفار قريش من أنه مسحور[4].

واختلف المفسرون في السورتين أهما مكّيتان أم مدنيتان؟ والجمهور على أنهما مكيتان[5]، أما السيوطي فرجح بأنهما مدنيتان، حجته في ذلك أن قصة سحر لبيد بن المعصم للنبي ﷺ كانت بالمدينة[6]، وهناك من قال بأنهما نزلتا مرتين كسورة الإخلاص جَمْعًا بين القولين[7].

نزلتا بعد سورة الفيل، وقد اختلف في عدد آيات سورة الناس والصحيح بأنها ستّ لا سبع، ولم يختلف في عدد سورة الفلق التي هي خمس آيات[8].

ثانيا: أسماؤهما

اشتهرت السورتان كما جاء في كتب الحديث والتفسير بالمعوذتين، وقد صرح عبد الحميد بن باديس في تفسيره بذلك مستدلا بما ورد في صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أُنْزِلَ، أَوْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، الْمُعَوِّذَتَيْنِ"[9].

(1) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير عبد الحميد بن باديس 2/341-342. دار الرشيد- الجزائر. ط3/2015.

(2) أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر الجهني رقم [814].

(3) مجالس التذكير. عبد الحميد بن باديس. 2/341.

(4) ينظر مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي. 32/368

(5) ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور. 30/624.

(6) ينظر الاتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي. 1/55.

(7) ينظر المصدر السابق 1/55.

(8) ينظر التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور 30/632. وينظر أيضا الاتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي 1/

(9) صحيح مسلم رقم [814].

قال رحمه الله: " فتسمية هاتين السورتين بالمعوذتين تسمية نبويّة مأثورة، كأسماء جميع سور القرآن، وقد يقال: المعوّذات ويراد بها ما يشمل سورة الإخلاص"[1]. غير أنه لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُمَا تُسَمَّى الْمُعَوِّذَةَ بِالْإِفْرَادِ[2].

وسُمّيتا أيضا (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس)، ومن أسمائهما كما في كتاب الإتقان (المشقشقتين) بتقديم الشين[3]، و(المقشفشتين) بتقديم القاف كما في تفسير تفسير الكشاف[4].

ثالثا: فضائلهما

ما من مفسّر عند تفسيره لسورتي الفلق والناس إلا ويتطرّق لذكر فضائلهما، وليس هناك راقٍ على وجه الأرض يذهل عن اتخاذهما رقية لعلاج الأمراض النفسية والوساوس الشيطانية، جاء في فضلهما الأحاديث الكثيرة، وقد ذكر عبد الحميد بن باديس في تفسيره بعض فضائلهما، وفي ذلك يقول: "أما السورتان فيكفي في فضلهما ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ : "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير خير منهن قط؛ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"[5]، وذكر أيضا حديث ابن عباس المخرّج في سنن النسائي أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ابن عابس، ألا أدلّك (أو ألا أخبرك) بأفضل ما يتعوّذ به المتعوّذون؛ قال: بلى يا رسول الله. قال: قل: أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس هاتين السورتين» وقال في موضع آخر: "وأنزل الله عليه هاتين السورتين وفيهما الاستعاذة بالله من أنواع من الشرور هن أمّهات لما عداهنّ"[6]، وهناك فضائل كثيرة لا يسعنا المقام لذكرها جميعا في هذه العجالة.

(1) مجالس التذكير عبد الحميد بن باديس. 341/2.

(2) ينظر التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور. 623/30.

(3) ينظر التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور. 623/30.

(4) الكشاف للزمخشري. 820/4.

(5) مجالس التذكير عبد الحميد بن باديس. 340/2-341.

(6) السنن الكبرى للإمام النسائي. 196/7.رقم [7792]. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط1/2001م. وينظر مجالس التذكير لابن باديس 342/2.

المطلب الثالث: نبذة موجزة عن حياة عبد الحميد بن باديس وتفسيره مجالس التذكير [1]

هو رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر ومؤسّس جمعية العلماء المسلمين عبد الحميد بن باديس بن محمد بن المصطفى بن المكّي بن باديس، ولد سنة 1308هـ (ديسمبر 1889) في مدينة قسنطينة، ينحدر من أسرة عريقة في العلم والجاه والثراء، لُوحِظ عليه منذ الصغر شدة الفطنة و فرط الذكاء وقوّة الحفظ، له رحلات في طلب العلم كانت أولاها إلى جامع الزيتونة بتونس سنة 1908م، ثم المسجد النبوي بأرض الحجاز سنة 1913م. تتلمذ على أيدي أشهر علماء عصره: الطاهر بن عاشور والصديق محمد النخلي وجمع غفير من علماء الحجاز، كان شديد التأثر بالإمام محمد عبده، رجع - بعد أن اشتدّ عوده وبلغ منزلة رفيعة في العلم- إلى وطنه واستقرّ في مسقط رأسه إلى أن وافته المنيّة سنة 1940م، كرّس حياته في محاربة الاستعمار الفرنسي، والقضاء على الجهل والخرافات والبدع المنتشرة باسم الدين، له مؤلفات جليلة، من أهمها:

_ (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) وهو عبارة عن دروس تفسيرية كان يلقيها في الجامع الأخضر بقسنطينة' ولم يكتبها بخطّ يده، غير أن جلّ تلك الدروس لم يصلنا منها إلا تفسير بعض الآيات لسور متفرقات، فلا يسعنا إلا قول واحسرتاه على ضياع تفسير أخذ من وقت صاحبه ربع قرن من الزمان.

أما بالنسبة لمنهجه في التفسير فقد صرّح بلسانه أنه يعتمد في درس التفسير على تفاسير مخصوصة منها: تفسير الطبري في بيان معنى الآيات من خلال الأدلة النقلية المأثورة، وتفسير الكشاف في أسرار الإعجاز وبلاغة أسلوب القرآن، وتفسير أبي حيان في توجيه القراءات وتحقيق الآراء النحوية واللغوية، وتفسير الرازي في بحوث علوم الأكوان وما يتعلق بجميع المخلوقات.[2].

(1) ينظر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر. تركي رابح. ص155-167. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. ط4/1984. وينظر مجالس التذكير لابن باديس تحقيق عبد الرحمن محمود 1/35-48.

(2) ينظر مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. عبد الحميد بن باديس.1/30

المطلب الرابع: وجوه الإعجاز عند الإمام عبد الحميد بن باديس

على الرغم من أن تفسير الإمام بن باديس قد ضاع جلّه إلا أنه قد حوى بين دفتيه رصيدا لا يستهان به فيما يخص الدرس الإعجازي، والقارئ لهذا السّفْر الجليل يلاحظ بأن عالمنا كانت له نظرة شمولية فيما يخص وجوه إعجاز القرآن الكريم، غير أنه قد صبّ جلّ اهتمامه على وجهين هما في نظره أعظم الوجوه وأجلّها، وفي هذا يقول رحمه الله: "القرآن أعجز العرب **ببلاغته**، حتى عرفوا- وعرف العلماء بلسانهم المرتاضين ببيانهم- أنه ليس مثله من طوق البشر، هذه هي الناحية الظاهرة في إعجاز القرآن والاستدلال به له ولمن أتي به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وهنالك ناحية أخرى هي أعظم وأعمّ: وهي **ناحيته العلمية** التي يذعن لها كل ذي فهم من جميع الأمم، في كل قطر وفي كل زمن"[1]. ومن خلال تتبّعنا لتفسير الإمام واستقرائنا لمواقع الآيات التي تحوي بين ثناياها إعجازا قرآنيا نخلص إلى الوجوه المرضية عنده، وهي[2]:

_الإعجاز البلاغي: وهو أظهر الوجوه وأعظمها على الإطلاق، وهو حاصل في جميع القرآن

_الإعجاز العلمي: وهو لا يقلّ أهمية عن الوجه الأول، ويقصد به إخبار القرآن عن حقائق علمية يستحيل كشفها زمن نزول القرآن، ثم يأتي العلم الحديث ليوافق ما جاء صريحا في نصوص القرآن.

_الإعجاز الغيبي: هو إخبار القرآن عن أمور غيبية سواء أكانت في الماضي أو المستقبل مما لا يمكن علمه إلا عن طريق الوحي.

_الإعجاز التشريعي: هو تشريعات القرآن وقوانينه الصالحة لتنظيم حياة الإنسان والمجتمع مما يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها.

_الإعجاز الإصلاحي الاجتماعي: هو النصوص القرآنية التي تنطوي على الأبعاد الاجتماعية الكفيلة بتحقيق الإصلاح على مستوى الفرد والجماعة.

(1) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. عبد الحميد بن باديس. 19/2.

(2) ينظر مجالس التذكير. 19/2-20.

المبحث الثاني: مظاهر الإعجاز البياني في المعوذتين؛ الفلق والناس

لا شك أن الله حين تحدّى العرب بأن يأتوا بمثل القرآن لم يتحدّهم بالإتيان بمثل القرآن كلّه أو على قدر سوره الطوال فقط، وإنما أطلق لهم العنان في ذلك ولو بأقصر سورة من مثله، فكان التحدي بجنس القرآن لا بالمقدار[1]، وفي بحثنا هذا سنحاول أن نبرز الإعجاز من خلال أقصر سور القرآن عند الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

تناول القرآن الكريم موضوعات متعددة في مجالات شتّى، ولكن الشيء الذي بهر العرب، وأعجزهم عن الإتيان بمثله هو نظمه العجيب وأسلوبه الفريد، ولهذا عدّ القرآن معجزة لغوية وظاهرة بيانية بالدرجة الأولى، لأنه يشمل القرآن كلّه، بجميع سوره وآياته، فما من آية إلا وفيها من البلاغة ما يعجز البلغاء عن الإتيان بمثله نظما وأسلوبا ولفظا ومعنى، وفي هذا يقول عبد الحميد بن باديس: " وآية النبي- ﷺ- وهي القرآن العظيم معجزة علمية عقلية يخضع لسلطانها كل من يسمعها ويفهمها ولا يستطيع معارضتها، لا في لفظها وأسلوبها وبيانها، الذي عجزت عن معارضة أقصر سوره العرب، على ما كان من حميتها وانفتها وشدة رغبتها في إبطالها لو وجدت سبيلا إليها"[2].

ونحن في بحثنا هذا سنخص بالذكر الإعجاز الحاصل في قصار السور.

المطلب الأول: بلاغة النظم في المعوذتين

لا نريد أن نتحدث هنا عن قضية النظم التي شغلت العلماء قديما والخلاف الحاصل بينهم حول قضية أفضلية اللفظ أم المعنى، حتى لا يطول بنا المقام، ولكن لا بد لنا ههنا أن ننبّه أن الإمام الجرجاني قد حسم الأمر، ونصّ على أن اللفظ بمعزل عن السياق لا قيمة له، وأن قيمته تظهر داخل النظم لا خارجه. فاللفظ والمعنى كلاهما مكمل للآخر، وللنظم جسد وروح، فجسده اللفظ وروحه المعنى، ولو تأملنا نظم المعوذتين وأمعنا النظر في الحروف والكلمات لرأينا أن جميع أجزائه قد وضعت في الموضع المناسب لها، كما أننا لو أخّرنا ما قدم الله، أو قدّمنا ما أخّر سبحانه لضاعت حكمة المولى بين ذلك التقديم والتأخير والإمام عبد الحميد بن باديس كان مدركا لهذه المسالة عالما بما يحدثه الترتيب من فوائد

(1) ينظر دراسات في علوم القرآن الكريم. فهد الرومي. ص271-272.

(2) آثار عبد الحميد بن باديس. 225/2. تحقيق عمار طالبي. دار ومكتبة الشركة الجزائرية. ط1/1968م

بلاغية، وفروقات معنوية، خاصة إذا علمنا أنه كان شديد الاهتمام بكتاب دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني، فكثيرا ما كان يعتمد عليه فيما يتعلق بفهم التراكيب القرآنية ووجوه البلاغة فيها، مبرزا من خلال ذلك جوانب الإعجاز البياني، وما سيأتي بعد هذا المطلب سيثبت صحة ما قلناه آنفاً.

المطلب الثاني: إعجاز المفردة القرآنية

تعتبر الكلمة الأساس الذي يقوم عليه النظم القرآني، لأن ألفاظ القرآن مختارة منتقاة، فكل كلمة منه وضعت في المكان الذي يناسبها، إذا لا يصلح غيرها أن يأخذ مكانها الذي هي فيه، إذ هل يعقل أن توضع قطعة في آلة لا تناسب مكانها. قالت عائشة بنت الشاطئ: " والأمر كذلك في ألفاظ القرآن: ما من لفظ فيه يمكن أن يقوم غيره مقامه، وذلك ما أدركه العرب الخلَّص الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن"[1]

ومسألة الترادف في ألفاظ القرآن الكريم مسألة خلافية قديمة شغلت علماء العربية، والصحيح أن لا ترادف في القرآن، لأن هذا الرأي يفقد المفردة القرآنية الحس اللغوي والروح البياني، ويذهب بسرّها، وفي هذا تساوي بينها وبين اللفظ الواقع في كلام الناس، وهذا ما لا يمكن حصوله[2].

كثيرا ما كان عبد الحميد بن باديس يشيد بالمفردة القرآنية في تفسيره، ويبين السبب الذي جيء بها في الموضع المناسب لها، ويبين الأهمية البلاغية التي تجنى من اختيارها على غيرها، و على الرغم من قلة عدد آيات السور التي نحن بصدد معالجة موضوع الإعجاز الحاصل فيها إلا أننا قد وجدنا ما يثري موضوعنا ويغذي بحثنا، وقد أحصينا لابن باديس رحمه الله من لطائف الكلمة القرآنية في السور المعوذات ما يروي الغليل ويشفي العليل، فمن ذلك:

كلمة الفلق:

بيّن ابن باديس أن مفردة (الفلق) لها ألفاظ كثيرة تقاربها في الدلالة، منها: الفتح والفجر والفلح والفرق والفري والفقه والفقأ، فكل هذه الألفاظ توضع في المكان الذي

(1) الإعجاز البياني في القرآن ومسائل ابن الأزرق. عائشة عبد الرحمن. ص210. دار المعارف. ط3

(2) ينظر المرجع السابق. ص209-212.

يناسبها حسب السياق الذي يستدعي ذلك، فقال: " ومما وصف به ربنا نفسه في القرآن {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام: ٩٦]، و {فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} [الأنعام: ٩٥]، فهما من أسمائه تعالى.

ومواقع هذه الألفاظ التي تضاف إلى كلمة رب في القرآن، كمواقع أسماء المخلوقات التي أقسم بها الله؛ كلاهما عجيب معجز.

فكل لفظة تستعمل في المقام الذي يناسبها وتناسبه، وكل لفظة تبعث في الأسلوب الذي وقعت فيه متانة وقوة، وفي معناها وضوحاً وجلاء."[1]

وفسر ابن باديس الفلق بالفجر الذي هو بمعنى تشقق الظلمة عن النور، فالليل ظلام ولا يذهب ظلمته إلا نور الفجر، فالنور هنا هو نور الخير والهدى، والظلام هو ظلمات الشر والباطل، ولا يكشف ظلمة الشر إلا نور الهدى والخير، وقد أجرى الله في فطر البشر أن الخير نور والشر ظلام، فجيء بالفلق في هذه السورة حتى يتجلّى للعيان، وتنكشف للمخلوقات كل المبصرات فتُرى على حقيقتها ومقاديرها، وحتى لا يزيغ البصر في شيء منها ولا يطغى.[2]

وإذا عدنا إلى التفاسير التي اتخذها ابن باديس مرجعا لدرس التفسير نجد أنّه قد أخذ منها ما يراه صحيحا موافقا لمفهوم النصوص، وقد صرح الشيخ البشير الإبراهيمي بأنه كان يستمد من آيات القرآن وأسرارها أكثر مما هو مستمدّ من التفاسير وأسفارها، أما فهوم الرجال فلا تعدو أن تكون مجرد فهوم تصيب وتخطيء[3]. وإذا ما رجعنا إلى تفسير الإمام الرازي نجده قد ذكر أن للفلق وجوها كثيرة، منها: أنه الصبح، ثم بين مناسبة تخصيصه في التعوذ –أي الصبح- فقال بأن القادر على كشف الظلمة عن العالم قادر أيضا على دفع كل ما يخشاه العائذ عن نفسه، كما أن الصبح كالمثال لمجيء الفرج وحصول البشرى وهذا ما ينتظره كل مهموم ويترقبه كل مريض[4].

(1) مجالس التذكير. عبد الحميد بن باديس. 35/2.

(2) ينظر المصدر السابق. 351/1-353.

(3) ينظر آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. 343/1.

(4) ينظر مفاتيح الغيب للإمام الرازي. 371/32.

كلمة الناس

يرى الإمام ابن باديس أن اختيار كلمة الناس على غيرها من الكلمات المشاركة لها في الدلالة كالبشر والبرية مقصود في حد ذاته، لما تحمله هذه اللفظة من معان لا نجدها في غيرها من الكلمات السابقة، والتي من معانيها الضعف والاضطراب، فالناس مأخوذ من ناس ينوس نوسا أي يضطرب وينساق، وهذا دليل ضعف النفوس التي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا، وإذا كان هذا هو حال الناس فلا بد لهم من رب يوجههم إذا زاغوا، ويحميهم إذا أحسوا بالهلاك، وإله قادر تصرف له العبادة وحده يتخذها الناس جنة من استعباد الأقوياء[1].

ولا بد لنا هنا أن ننقل كلام هذا الإمام لأهميته: "واختير لفظ الناس، من بين الألفاظ المشاركة له في الدلالة كالبشر والبرية، لأنه ينوس ويضطرب وينساق. وهي صفات يلزمها التوجه، ويسهل التوجيه، فلا غنى لصاحبها عن توفيق الله للوجهة الصالحة، والتسديد فيها، ما دام لا يملك لنفسه ذلك، وما دام محاسباً عليه، وما دامت هناك قوة مسلطة تنزع به إلى الشر.

ففي تخصيص الناس بالذكر، تنبيه إلى أنهم أحوج المربوبين إلى تأييد الله وأحقهم بطلب ذلك منه"[2].

وإذا ما عدنا إلى تفسير الرازي نجده قد ذكر وجوها لسبب تخصيص الناس بالذكر مع أن الله رب جميع المخلوقات، لكن الإمام ابن باديس اختار منها الوجه الأول مع تصرف في المعنى، يقول الرازي: " أنه تعالى رب جميع المحدثات، ولكنه هاهنا ذَكَرَ أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ عَلَى التَّخْصِيصِ وَذَلِكَ لِوُجُوهٍ أَحَدُهَا: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ وَقَعَتْ مِنْ شَرِّ الْمُوَسْوِسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْمُوَسْوِسِ إِلَى النَّاسِ بِرَبِّهِمُ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ وَهُوَ إِلَهُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ "[3]

كلمة الوسواس

قلنا سابقا أن وضع كلمات القرآن لم يكن عشوائيا، بل هو مقصود ومختار حتى يؤدي الغرض الذي وضع من أجله، وهذا ما نجده أيضا في كلمة (الوسواس) في سورة

(1) ينظر مجالس التذكير لابن باديس. 2/370-371.

(2) مجالس التذكير. عبد الحميد بن باديس. 2/370-371.

(3) مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي. 32/376.

الناس دون غيرها من الكلمات المقاربة كلفظ (الشيطان)، بين ابن باديس في تفسير قوله تعالى: {مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤} أن أصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء وهو ما قاله الإمام الرازي[1]، فالموسوس يدخل فيه الإنسي والجني، فالأول يتحرى الإخفاء ما استطاع إلى ذلك سبيلا ويتخذ الخلوات مناسبة لبث شره في المخلوقات، أما موسوس الجن فالأصل فيه الخفاء، وعلى هذا يكون عمله في الناس[2]. ثم بين رحمه الله الفرق بين المصلح والمفسد أن الأول يعمل في وضح النهار وأمام محفل الناس، خلافا للمفسد الذي يهمس إذا قال، ويستتر إذا فعل، ويلجأ إلى صفات الغمز والإشارة والتعمية[3].

نجد هنا أن ابن باديس قد فسّر الوسواس بشيطان الإنس والجن، وهذا الذي عليه الإمام الزمخشري حيث يقول: "على أن الشيطان ضربان: جنى وإنسي، كما قال شياطين الإنس والجن."[4] فكلاهما يرى بأن اختيار كلمة الوسواس على كلمة الشيطان من أجل أن لا يقتصر اللفظ على الجني فقط، فالإنس داخل في لفظ الوسواس. كما ثبت عن الصحابي الجليل أبي ذر ﷺ أنه قال لرجل: "هل تعوّذت بالله من شيطان الإنس؟"[5]، وقد استدل أبو حيان بقول قتادة: "إِنَّ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِينُ، وَمِنَ الْجِنِّ شَيَاطِينَ"[6].

كلمة الصدر

ورد استعمال كلمة صدر في مواقع كثيرة من القرآن مفردا وجمعا، ولكن هل المراد بها القلب؟ أم أن الأمر خلاف ذلك؟

يجيب عبد الحميد بن باديس عن هذا السؤال عند تفسيره قوله تعالى: {ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ } [الناس:5]. حيث بين أن الصدر مستودع القوى ومجمع المضغ التي تحمل تلك القوى، والقلب أحد تلك القوى، ثم بين أن المراد بالقوى ليست الصورة المادية ولا الأجزاء الحسية وإنما المراد القوى النفسية الكامنة في صدر الإنسان الذي هو

(1) ينظر المصدر السابق.217/14 في تفسير قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ١٩} [الأعراف:19].

(2) ينظر مجالس التذكير لابن باديس. 371/2-372.

(3) ينظر المصدر السابق. 372/2.

(4) الكشاف للزمخشري. 824/4.

(5) ينظر المصدر السابق. 824/4.

(6) البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي. 579/10.

مجمع القوى.[1]. إذن، فالقلب شيء والصدر شيء آخر، قال رحمه الله: "فالقلب غير الصدر، وإنما هو فيه، ولذلك قال: {وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦]."[2]، وقد اختار الله في هذا الموضع لفظ الصدور على القلوب لحكمة بلاغية، يجلّيها لنا الإمام ابن باديس الذي منحه الله حظا بلاغيا وفهما راقيا، قال رحمه الله: "وقال: "فِي صُدُورِ النَّاسِ"، ولم يقل في قلوب الناس؛ لأن القلب مجلى العقل ومقر الإيمان، وقد يكون محصنا بالإيمان فلا يستطيع الوسواس أن يظهره ولا يستطيع له نقباً"[3].

المطلب الثالث: بلاغة الفعل المضارع:

لا بد للمتكلم أو الكاتب أن يختار الزمن المناسب للتعبير عن أغراضه، فلكل زمن دلالاته، ولكل حدث معانيه، فالماضي يدل على حدث وقع وانتهى وهو يدل على معنى الثبوت والانقطاع، بينما المضارع يدل على حدث يقع في الزمن الحاضر أو المستقبل وهو يدل على التجدد والاستمرار، والمتأمل في كتاب الله يجد أن الله يستخدم أفعالا بطريقة تتجاوز القواعد النحوية التقليدية، فكثيرا ما يستعمل الماضي للدلالة على المستقبل، أو العكس، كما في قوله تعالى: {أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ} [النحل:1].

إن أسلوب العدول عن الزمن المألوف يثير الدهشة لدى السامع، ويدفعه الفضول للبحث عن المعاني السياقية، والكشف عن المعاني العميقة للنص القرآني، وبهذا يظهر إعجاز القرآن البياني في التعبير عن المعاني المختلفة بأساليب متنوعة.

وقد وقفنا لابن باديس على موضع واحد يبين من خلاله دلالة زمن الفعل، وذلك في قوله تعالى: {ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ} [الناس:5].

فورود الفعل (يوسوس) في زمن المضارع بدل الماضي له أسبابه ودلالته، وقد بينا قبل قليل أن المضارع يدلّ على التجدد والاستمرار، فكأن الله يحذرنا من هذا الشيطان الذي يعمل ليل نهار دون انقطاع أن ننخدع بوساوسه أو أن نقع في شراكه، مستعملا في ذلك شتى الوسائل، وفي هذا يقول عبد الحميد بن باديس: "قال: "يُوَسْوِسُ" بالمضارع إشعاراً بعد

(1) ينظر مجالس التذكير لابن باديس. 373/2.

(2) المصدر السابق. 373/2.

(3) المصدر السابق. 373/2.

إشعار بتجدد الوسوسة منه وعدم انقطاعها"[1]. وقد ورد الفعل في زمن الماضي مع قصة أدم فقط في موضعين؛ في سورتي الأعراف وطه[2]، لأن الموضع هنا هو موضع إخبار عن أمر قد وقع وانتهى، وكان ذلك في الجنة قبل النزول إلى الأرض. ومن خصائص القصص القرآني استعمال الماضي، فسرد الأحداث التاريخية المتعلقة بالأنبياء وغيرهم وما جرى لهم مع خصومهم وأقوامهم يستدعي ذلك.

المطلب الرابع: بلاغة الإضافة

تعد الإضافة من الأساليب المهمة في تركيب الكلام، وعلى هذا كان اعتناء علماء اللغة بها اعتناء بالغا، وقد حاول علماء التفسير الوقوف على دقائق هذا الأسلوب، وبيان لطائفه المعنوية، حتى يتجلى للقارئ عظمة القرآن، وتميزه عن سائر الكلام، ويعتبر تفسير عبد الحميد بن باديس من أهم تفاسير العصر التي اعتنت بدراسة التراكيب وبيان دلالاتها، وحين ننعم النظر فيما كتبه هذا العالم الجليل فيما يخص درس الإضافة نجده قد أوفاه حقّه، فما من آية تحوي تركيبا إضافيا إلا يبين الفائدة منه، ويكشف للقارئ المعنى المخبأ تحت لباسها.

إضافة (الفلق) إلى (رب)

الرب من أسماء الله الحسنى، وهو من أجل الأسماء، لا يقال في غيره إلا بالإضافة، كقولك رب الدار، وقيل بأنه اسم الله الأعظم له معاني كثيرة، منها: المالك والمصلح والمدبر والسيد، والسياق وحده هو الذي يبين معناها الدقيق، يقول ابن باديس: "و (الرب) الخالق المكون المربي، ومواقع استعمال هذه الكلمة في القرآن هي التي تكشف كل الكشف عن معناها الكامل."[3]

ويبيّن ابن باديس أن كل لفظة تضاف إلى (الرب) تستعمل في المقام الذي يناسبها، فيبعث من موقعها متانة وقوة في الأسلوب ووضوحا وجلاء في المعنى، كما هو الحال بالنسبة إلى أسماء المخلوقات التي أقسم الله بها، فهو يرى بأن كليهما عجيب معجز(4)

(1) مجالس التذكير لابن باديس. 373/2.

(2) سورة الأعراف: [الآية20] وسورة طه: [الآية 120].

(3) مجالس التذكير لابن باديس. 349/2.

(4) ينظر المصدر السابق. ج2/ص350.

والسر الذي يختبئ تحت غطاء إضافة الفلق إلى الرب يكشفها لنا الإمام ابن باديس فيقول: "وسر إضافة (الفلق) إلى (رب) هنا: أن الفجر بمعناه العرفي هو تشقق الظلمة عن النور، فإن الليل يكون مجتمع الظلمات مسدول الأوراق، فإذا جاء الصبح حصل الانفلاق، والذي يبقى بعد ذلك الانفلاق هو النور الذي نفى الظلمة، ولا ينفي ظلمات الشر والضلال والباطل إلاّ أنوار الخير والهدى والحق من خالقها وفالق أنوارها"[1]. فالله سبحانه وتعالى هو الذي يكشف ظلمات الشر والضلال ويستبدله بنور الخير والهدى.

إضافة (الناس) إلى (الرب)

لا شك أن الله هو رب الناس ورب كل المخلوقات، وبهذا وصف الله نفسه في الكتاب العزيز فقال سبحانه: { وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } [الأنعام:166]. ولكن ما هو السر وراء تخصيص الناس بالذكر في هذه السورة؟ إن السر في هذا التخصيص قد بيّنه ابن باديس في تفسيره ، وهو الذي أظهر من خلاله أن كل لفظة من القرآن تستعمل في المقام الذي يناسبها، فقال رحمه الله: " و (الرب) رب الناس وغيرهم، بل رب العالمين. وإنما خص الناس بالذكر: لأنهم هم هدفه ومرمى وسوسته، ولأنهم هم المأمورون بالاستعاذة منه، ولأن عالم التكليف أشرف، فإليهم يوجه الخطاب، وإليهم يساق التحذير... ونكتة أخرى في تخصيص الناس بالذكر دون بقية أفراد المربوبين، وهي أنهم هم الذين ينطبق عليهم ناموس الهداية والضلال، وقد ضلوا بالفعل في ربوبية الله وفي ألوهيته"[2]. وحين نرجع إلى عمدة التفاسير التي كان يرجع إليها ابن باديس لم نجد فيها من تطرق إلى سر إضافة الناس إلى الرب، اللهم إلا ما جاء في تفسير الرازي الذي كان كلامه مجملا حيث ذكر وجوها لهذا التخصيص من بينها: "أَنَّ أَشْرَفَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْعَالَمِ هُمُ النَّاسُ"[3]، وهذا ما يجعلنا نحكم بأن الإمام عبد الحميد كان ذواقا لآي القرآن غواصا في أعماق بحار هذا الكتاب، مستمدا من آيات القرآن أسرارها أكثر مما هو مستمد من كتب التفاسير وأسفارها.

(1) المصدر السابق. ص2/ص350.

(2) مجالس التذكير لابن باديس. 370/2.

(3) مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي. 376/2.

المطلب الخامس: بلاغة الحذف في القرآن

من روائع البيان القرآني المعجز أن نشاهد أسلوب الحذف يرد بكثرة في مطلع السور وثنايا الآيات، وليس ورود مثل هذا الأسلوب في القرآن مصادفة عشوائية، بل هو لحكمة بالغة، قد شغلت محاولة كشفها المفسرين والبلاغيين، وقد ورد الحذف في مطلع المعوذتين، وذلك في قوله تعالى: {قُلۡ اَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ } [الفلق:1] و {قُلۡ اَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ } [الناس:1]. وقد اختلف المفسرون في تقدير المحذوف، فمنهم من خصه بمحمد ﷺ وحده، ومنهم من أدخل معه أمته، ومنهم من قدر المحذوف (يا محمد)، و منهم من ردّ هذا التقدير لكونه منافيا لمقامه الشريف، وقد رجح ابن باديس قول من يقول إن المقدّر هو النبي وأمته، ولم يرتض تقدير النداء باسم محمد فقال: " قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، الأمر المفرد للنبي عليه السلام، ومن حسن الأدب في مقدرات القرآن أن تقدر في مثل هذا الأمر: (أيها الرسول)، أو (أيها النبي)، لأنهما الوصفان اللذان نطق بهما القرآن في نداء النبي عليه الصلاة والسلام، وأن لا نقدّر (يا محمد) كما هو جار على الألسنة وفي التصانيف؛ فإن القرآن لم يخاطبه باسمه.

والأمر لنبينا أمر لنا، لأننا المقصودون بالتكليف، ولا دليل على الخصوصية، فهو في قوة: قل أنت، وقل لأمتك يقولون"[1]. وما قيل في سورة الفلق يقال في تقدير الحذف في سورة الناس. ونلاحظ أن الحذف هنا أبلغ من الذكر لما فيه من اختصار في الكلام وروعة الجمال، كما أن مقام الحذف هو المناسب لمثل هذه السور القصار.

المطلب السادس: بلاغة صيغة المبالغة (النفاثات) و(الخناس)

المبالغة هي العدول إلى صيغة تدل على الكثرة أو شيء مبالغ فيه، ولأهمية المبالغة في الخطاب جعلها الرماني ضمن الأقسام العشر التي هي الأساس لعلم البلاغة[2]، وقد فصّل ابن باديس في المعاني التي تتضمنها هذه الصيغة في تفسيره لسورتي الفلق والناس، وذلك في قوله تعالى: {وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤} [سورة الفلق:4]. و قوله تعالى: {مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ} [الناس:4]. فالنفاثات والخناس صيغتا مبالغة، فاللفظ الأول معدول من (النافثات) إلى (النفاثات)، أما اللفظ الثاني فمعدول من (الخانس) إلى (الخناس)، وكِلا اللفظين من باب المبالغة في الصفة.

(1) مجالس التذكير لابن باديس. 349/2.

(2) ينظر النكت في إعجاز القرآن. علي بن عيسى الرماني. ص72. دار المعارف بمصر. ط3/1976هـ.

النفاثات:

النفاثات قيل بأنها النفوس فيدخل فيها الرجال والنساء، أو هن الساحرات- وهو قول أكثر المفسرين- وهي جمع نفاثة وهي الكثيرة النفث على العقد، ولا يكون فعل السحر إلا في الخفاء، والشر الخفي يجلّ خطره، ويعظم خطبه بالناس، لهذا استعملت صيغة المبالغة للدلالة على كثرة شر السحرة، وفي هذا تحذير للناس من شرهن وتهويل في الاستعاذة من كيدهن في كل وقت وحين[1].

الخناس:

لقد حذر الله خلقه من الشيطان تحذيرا شديدا، وأمرنا بإعداد العدة لهذا العدو، الذي نعت الله كيده بأنه كان ضعيفا، وعلى هذا وصفه الله في سورة الناس بالخناس، التي هي صيغة مبالغة تدل على التقدم والتأخر الكر والفر والظهور والاختفاء، وهذه الصفات هي صفات الضعفاء الجبناء، غير أن استعمال صيغة المبالغة في هذا المقام جاء للمبالغة في التهويل والتحذير منه[2]، يقول ابن باديس: "وصفه بهذه الصفة –أي الشيطان- يشعر بأنه ضعيف الكيد، لأن الخنوس ليس من صفات الشجاع المقدام، وإنما هو كالذباب: تذبه بذكر الله من ناحية فيأتيك من ناحية، ثم دواليك حتى تمل أو يمل.

وأما التهويل في وصفه بما يأتي بعد، فهو مبالغة في التحذير منه؛ لأن وصفه بالضعف مظنة لاحتقاره والتساهل في أمره"[3].

المطلب السابع: الإعجاز في ترتيب الكلمات

لا شك أن الكلام المقبول لا بد له من ثلاثة عناصر، وهي: اللفظ والمعنى والنظم، وبتوافر هذه العناصر يكون الكلام دقيقا ومؤديا لمقصود قائله، فلا يكفي في الكلام أن يكون مستندا على اللفظ والمعنى فقط، بل لابد من الاستناد على عنصر النظم، الذي يعتبر في نظر الجرجاني مهما جدا[4]، فالكلام الصحيح هو الذي تكون ألفاظه مرتبة حسب المعنى الذي هو في ذهن المتكلم.

(1) ينظر مجالس التذكير لابن باديس. 2/353-354.

(2) ينظر مجالس التذكير لابن باديس. 2/372/373.

(3) مجالس التذكير لابن باديس. 2/372-373.

(4) ينظر دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني. ص93. تحقيق أبو فهر محمود شاكر. دار المدني. جدة. ط3/1992.

أولا: بلاغة الترتيب في سورة الفلق

وحين ننعم النظر في ما جادت به قريحة عبد الحميد بن باديس فيما يتعلق بتفسير المعوذتين، نجده قد تطرق إلى الحديث عن أهمية ترتيب ألفاظ القرآن، وما ينجرّ عنها من معاني دقيقة تكشف لنا عن نكت وأسرار قد تخفى على كثير ممن يباشر قراءة القرآن وتلاوته، وقد بين رحمه الله في تفسيره لسورة الفلق أن الله أمرنا أن نستعيذ به من شر المخلوقات، ثم خصص منها ثلاثا، قال ابن باديس: " ورتبها ترتيباً بديعاً لا يستغرب في جنب بلاغة القرآن، ودقته في رعاية المراتب وتنسيقها في عرض الأذهان، هذه هي الثلاثة: الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد[1]. فبين رحمه الله أن الشرور الثلاثة المخصصة في السورة تشترك في الخفاء، فالغاسق ظلام، وعمل السحر مبني على الاختفاء، والحاسد يحسد بقلبه المختبئ تحت الصدر، فهو يرى أن الشر إذا خفي كان خطره أعظم، ولكن ليس الشر أمراً واحداً، بل هو يختلف ويتفاوت، وعلى هذا رتب الشر في هذه السورة ترتيبا تصاعديا من الأدنى إلى الأعلى، يقول ابن باديس: "أما نكتة الترتيب: فإن الليل ليس شراً في نفسه، ولا الشر من عمله، وإنما هو ظرف للشرور... بخلاف النفاثات والحساد، فإن الشر من عملهما ومن وصفهما، ولانطباعهما عليه صار ذاتياً لهما، ولا شك أن الشر الذاتي أمكن من العرضي.

كما أن بين الاثنين تفاوتاً في ذاتية الشر وقوته، وعسر التوقي منه:

فالنفاثات وإن كن يتحرّين إخفاء عملهن، ولكنه مما يمكن ظهوره وافتضاحه- بخلاف الحاسد فإنه يخفي شره ويبالغ، فيظهر بمظهر الخير، فشره أشد، والتوقي منه أعسر، ففي الترتيب بين الثلاثة ترق من الأخف إلى الأشد."[2]

ثانيا: بلاغة الترتيب في سورة الناس

أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ به من شر الوسواس الخناس، والمستعاذ به هو رب الناس و ملك الناس هو أيضا إله الناس، وجاء الترتيب في هذه السورة لنكتة بلاغية، أسفر عن جمال وجهها عبد الحميد بن باديس بقوله: "وبلاغة الترتيب، إنما تظهر جلية عند استعراض أطوار الوجود الإنساني.

(1) مجالس التذكير. عبد الحميد بن باديس. 353/2

(2) مجالس التذكير. عبد الحميد بن باديس. 354/2.

فالأول: طور التربية والإعداد وهما من مظاهر الربوبية. [وهو المراد في قوله تعالى: { بِرَبِّ اِلنَّاسِ١}]

والثاني: طور القوة والتدبير وهما من مظاهر الملك. [وهو مأخوذ من قوله تعالى: {مَلِكِ اِلنَّاسِ٢}]

والثالث: طور الكمال والقيام بوظائف العبودية، وهو من مظاهر الألوهية، وهو المقصود بقوله قوله تعالى: {إِلَٰهِ اِلنَّاسِ ٣}]"[1] فالمستعاذ منه في نظر ابن باديس يجاهد في أن يبعد الإنسان عن الله بما يفسد عليه صلته بربه، أو بما يفسد عليه تدبيره ومنفعته، أو بما يفسد عليه ربوبيته وهي أقوى صلاته وأشرف علائقه، فلذلك جاء الترتيب على هذا النمط المذكور بتلك العلائق القوية التي يريد المستعاذ منه أن يقطعها[2].

المطلب الثامن: بلاغة التقديم والتأخير

يعدّ هذا الأسلوب من الظواهر البلاغية الرفيعة في التعبير القرآني، وإن كان قد عرف هذا الأسلوب في كلام العرب وأشعارهم إلا أن ما جاء به القرآن يختلف كثيرا عمّا هو موجود في كلام المخلوق، وهذا ما جعله دليلا واضحا على إعجاز القرآن في جانبه البياني، قال الجرجاني وهو يتحدث عن التقديم والتأخير: "هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إِلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان."[3]

والتقديم قسمان: قسم يقدم فيه اللفظ على عامله كتقديم المفعول به على الفعل، وقسم تتقدم فيه الألفاظ بعضها على بعض، حيث يقدم اللفظ في موضع ويؤخر في موضع آخر من القرآن، وكلاهما كثير وروده في كلام الله تعالى[4]، ولا يكون تقديم القرآن من باب العبث، بل هو مقصود وحكيم، يظهر من خلاله التوازن الدقيق ويتجلى المعنى الإلهي المراد.

(1) مجالس التذكير. لابن باديس. 369/2.

(2) ينظر مجالس التذكير. 369/2-370.

(3) دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. ص106.

(4) ينظر إعجاز القرآن البياني. صلاح الخالدي. ص346. دار القلم. دمشق. ط2021/2م

وحين ننعم النظر في المعوذتين اللّتين هما مجال بحثنا نجد أن القسم الثاني من التقديم هو الذي اشتغل عبد الحميد ببحثه وبيان نكته وكشف أسراره، وذلك لخلوّ السورتين – أي المعوذتين- من ورود القسم الأول؛ تقديم اللفظ على عامله، وقد ضرب لذلك أمثلة في تقديم بعض الأسماء في آيات، وتأخيرها في آيات أخري، كتقديم السماء على الأرض و الإنس على الجن في مواضع وتأخيرهما في مواضع أخرى، قال رحمه الله: "ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يقدم أولاً الاسمين المتلازمين في آية، لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام، ولا يؤخر ذلك المقام في آية أخرى، لسر آخر: فيقدم السماء على الأرض في مقام، ويؤخرها عليها في مقام آخر."[1] وقد بين رحمه الله أن الله تبارك وتعالى قد قدم لفظ الجن على الناس في سورة الناس بينما في سورة الأنعام نجد العكس، حيث قدم الإنس على الجن، ثم بين السر البلاغي في ذلك، فقال: "ومن هذا الباب تقديم الإنس على الجن في آية الأنعام [2]، لأن معرض الكلام في عداوتهم للأنبياء، وهي من الإنس أظهر، ودواعيها من التكذيب والإيذاء أوضح.

وفي آية "الناس" قدم الجنة على الناس، لأن الحديث عن الوسوسة، وهي من شياطين الجن أخفى وأدق"[3].

المطلب التاسع: بلاغة إيراد الخصوص بعد العموم

جاء في سورة الفلق الأمر بالاستعاذة من الشر الذي يدخل فيه كل مخلوق ذي شر، من أي العوالم كان، ثم خصص بعد ذلك ثلاثة أشياء مع أنها داخلة في عموم الشر المستعاذ منه، وهي: (الغاسق إذا وقب)، و(النفاثات في العقد)، و(الحاسد إذا حسد)، فلماذا جاء هذا التخصيص بعد العموم، وما هو السر البلاغي في ذلك؟ قد أجاب على هذا السؤال عبد الحميد بن باديس، فقال: "ثم خصص تعالى من هذا العموم ثلاثة أنواع من الشر، لشدة تعلقها بحياة الإنسان وكثرة عروضها له، ويجيء أكثرها من أخيه الإنسان"[4]، فالشر الأول هو الظلام الذي هو ظرف للشرور التي غالبا ما تطرق ليلا، أما الشر الثاني والثالث فهو

(1) مجالس التذكير. عبد الحميد بن باديس. 376/2.

(2) سورة الإنعام [الآية 112]

(3) مجالس التذكير. عبد الحميد بن باديس. 376/2

(4) مجالس التذكير لابن باديس.2/ 353.

يجيء من الإنسان على وجه الخصوص، وهو كثير وقوعه خطير وقعه خفي أثره، والتوقي منه أعسر. فهذه الثلاثة لا تنفك عن حياة الإنسان، وهي معروضة عليه في كل وقت وحين لا يكاد يسلم من شرها إلا القليل لهذا خَصّ بالذكر هذه الثلاثة دون غيرها. وأمرنا الاستعاذة من شرها.

المطلب العاشر: بلاغة التقييد

جاء في سورة الفلق تقييد الشرور الثلاثة التي هي (الغاسق والنفاثات والحاسد) بـ: (وقب والعقد وإذا حسد) وهي على الترتيب، فالتقيد هنا هو الذي يصيّرها شرا محضا، خلافا إذا ما وردت مطلقة، لأن من الغسق ما تظهر من خلاله الأشياء وتقع فيه أمور الخير، ومن النفث ما يكون رقية شرعية مأذون فيها، ومن الحسد ما يكون غبطة محمودة[1]، وقد بيّن ابن باديس فائدة التقييد، وذكر أن تقييد الغاسق له احتمالان؛ الأول منظور فيه إلى الظرف الزماني، والمستعاذ منه هو شر يقع في زمان من قِبل الآدميين وغيرهم، وفسّر الوقوب على هذا الاحتمال بأنه اعتكار الظلام وتكاثفه، الذي من خلاله يستتر الشر ويخفى، لأن العرب تقول: الليل أخفى للويل[2]

أما الاحتمال الثاني فهو منظور فيه إلى الظرف المكاني، والمستعاذ منه شر يقع في مكان كالأبنية والمساكن، من قبل كلّ ذي شر، سواء أكان من الآدميين أو غيرهم، وفسّر الوقوب هنا بأنه دخول شيء في شيء دخولا حسيا، وعلى هذا يكون دخول الظلام في الأبنية والمساكن أبين من دخوله في الفضاء، والشر المرتكب فيها أكثر مما يرتكب في الفلاة، وملؤها إياه أشد، وكلا الاحتمالين صحيح ومفيد للمعنى المراد على حدّ قول الإمام ابن باديس[3].

أما الفائدة البلاغية من تقييد النفاثات بالعقد لأن النفوس تختلف، وتأثيرها يكون على حسب تلك النفوس، فتقييد النفاثات بالعقد يفيد أن هذه النفس هي نفس الساحر تنفث الشر لخبثها في العقد ، لأن الشر هو صفتها الطبيعية، مثله كمثل الحية تنفث السم لا الترياق، والعدو يلقاك بطعن الأسل لا بطعم العسل، أما النفوس الخيرة فإنها لا تنفث إلا

(1) الغبطة هي تمني حصول الشيء مع عدم تمني زوال النعمة عن المغبوط، وهي عكس الحسد الذي يتمنى صاحبه زوال النعمة عن المنعم عليه.

(2) مثل عربي قديم يضرب لمن يريد أن يفعل أمرا جللا، أي: افْعَلْ ما تريد ليلا فإنه أسْتَرُ لسرك، ينظر مجمع الأمثال. أحمد بن محمد الميداني النيسابوري. 193/2. دار المعرفة. بيروت/ لبنان.

(3) ينظر مجالس التذكير لابن باديس. 354/2-355.

الخير، وقد ثبت أن النبي ﷺ "كان إذا آوى إلى فراشه جمع بين كفيه ثم نفث فيهما وهو يقرأ المعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من بدنه"[1]، هكذا يرى ابن باديس أن تقييد (النفاثات) هنا له فائدة بلاغية ومعنى دقيقا مقصودا، خلافا إذا ما جاء ذلك اللفظ مطلقا من دون قيد [2].

وبالنسبة للتقييد الثالث الوارد في آخر سورة الفلق، فهو في قوله تعالى: { حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥} يرى عبد الحميد بن باديس أن الحسد أمّ لكثير من الشرور، التي منها صفة العجب والكبر والاحتقار، وهذه الصفات مجموعة في إبليس اللعين، فشنيع بالإنسان أن يتصف بصفات يكون إبليس فيها إماما، ثم بين رحمه الله بأن الحسد شر على صاحبه قبل غيره، فكلاهما يتأذى منه، فالحاسد يؤرّق جفنه ويقضّ مضجعه ويأكل قلبه الحسد، والمحسود هو أيضا يتأذّى بعين الحاسد إذا كان ساعيا في الإضرار وقادرا عليه، ولهذا قُيّدت الآية : { إِذَا حَسَدَ }. ثم بين رحمه الله أن الحسد مرض نفساني خطير يعالج بالأذكار النبوية والآيات القرآنية [3]

المطلب الحادي عشر: بلاغة التكرار

يرى ابن باديس أن للتكرار القرآني نكتة بلاغية، وحكمة بيانية، وحين ننعم النظر في سورة الناس نجد بأن لفظ (الناس) قد تكرر ثلاث مرات، والطاعنون في القرآن الكريم يقترحون أن يكون التعبير هكذا: (قل أعوذ برب الناس، ملكهم، إلههم) وعلى اقتراحهم يكون التعبير ركيكا وضعيفا، ينجرّ عنه لبس في المعنى، فروعة التعبير البياني هي التي تقتضي تكرار (الناس) في السورة[4]

يقول عبد الحميد بن باديس موضحا النكتة البلاغية من هذا التكرار: "ونكتة الإعادة والإظهار للفظ الناس توضيح المعنى، وإلفات النفس إليه، وإيقاظ شعورها به، والتسجيل على الناس بأن لهم ربا هو مالكهم وإلههم."[5].

(1) صحيح البخاري [رقم 5017] من حديث عائشة ﷺ.

(2) ينظر مجالس التذكير لابن باديس 357/2.

(3) ينظر المصدر السابق 364/2

(4) ينظر إعجاز القرآن البياني. صلاح الخالدي. ص411-412

(5) مجالس التذكير لابن باديس. 371/2.

النتائج:

_ الإعجاز البياني حاصل في جميع القرآن؛ طواله وقصاره.

_ عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن يرجع إلى قوة النظم لا إلى كثرة اللفظ، فمع وجازة المعوذتين وقصرهما فقد تضمّنتا من إحكام النظم ما يبعث على العجب.

_ السرّ في إعجاز المعوذتين هو الإتيان بالمعاني العظيمة في القالب اللفظي الوجيز، ليكون حفظه أسهل، ووقعه في النفس أعظم.

_ التحليل الدقيق للمسائل المتعلقة بالإعجاز عند ابن باديس، حيث كان مجتهدا أكثر منه أن يكون مقلدا، فهو يستمد من آيات القرآن الحكم والأسرار أكثر مما هو مستمد في التفاسير والأسفار.

_ شدة اهتمام الإمام عبد الحميد بن باديس بدرس الإعجاز في تفسيره.

_ سبب عجز العرب يرجع بالدرجة الأولى إلى نظم القرآن الفريد وتركيبه العجيب.

_ الإعجاز البياني دليل على أن الكتاب العزيز مصدره رباني.

_ يعد تفسير مجالس التذكير من التفاسير التي توصف بأنها بلاغية بالدرجة الأولى، فهو يعتمد على تحليل الألفاظ والمعاني، بالإضافة إلى التركيز على الجانب البلاغي للنص القرآني.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1 _ إعجاز القرآن البياني. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار الأرقم .دمشق. ط.2. 2021م

2_ إعجاز القرآن المجيد. فضل حسن عباس. دار النفائس. الأردن. ط.1. 2016.

3 _ الآثار . محمد البشير الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط.1. 1997م.

4 _ الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ع 1974.

5 _ الإعجاز البياني للقرآن. عائشة عبد الرحمن. دار المعارف. مصر. ط.3، (د.ت)

6 _ البحر المحيط. أبو حيان محمد بن يوسف. دار الفكر. بيروت. ط.1، 1420ه.

7 _ البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي. دار ابن الجوزي. القاهرة. ط.1، 2013م.

8 _ التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور. دار سحنون. تونس، (د.ت)

9 _ التعريفات. الشريف الجرجاني. دار ابن الجوزي. القاهرة. ط.1، 2018م.

10 _ الجامع الكبير. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1998م.

11 _ السنن الكبرى. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط.1، 2001م.

12 _ الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر. تركي رابح. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط.4 1984.

13 _ الكشاف عن حقائق عيون التنزيل. أبو القاسم محمود الزمخشري. دار ابن الجوزي. مصر. ط.1، 2019م.

14 _ القاموس المحيط. مجد الدين أبو الطاهر الفيروز أبادي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط.8، 2005م.

15 _ المسند أحمد بن حنبل. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط.1، 2001م.

16 _ الموطأ . مالك بن أنس. تحقيق بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة. بيروت/ا412ه.

17 _ النكت في إعجاز القرآن. علي بن عيسى الرماني. دار المعارف. مصر. ط3، 1976.

18 _ الوسيط في تفسير القرآن المجيد. علي بن أحمد الواحدي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط.1، 1994م.

19 _ دراسات في علوم القرآن الكريم فهد الرومي. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف. ط.12، 2003م.

20 _ دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني. دار المدني. جدة. ط.3، 1992م.

21 _ صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) محمد بن إسماعيل. دار طوق النجاة. بيروت. ط.1، 1422ه.

22 _ صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. دار إحياء التراث العربي. بيروت. (د.ت)

23 _ عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم. محمد السيد جبريل. مجمع الملك فهد في طباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة.

24 _ فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر. نعيم الحمصي. موسسة الرسالة. بيروت. ط.2، 1980م.

25 _ لسان العرب لابن منظور. دار صادر. بيروت. ط.3، 1414ه.

26 _ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. عبد الحميد بن باديس. دار الرشيد. الجزائر. ط.3، 2015م.

27 _ مجمع الأمثال. احمد بن محمد الميداني النيسابوري. دار المعرفة. بيروت. (د.ت)
28 _ مفاتيح الغيب. فخر الدين الرازي. دار إحياء علوم التراث العربي. بيروت. ط.3، 1420ه.
29 _ مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس. أحمد جمال العمري. دار المعارف القاهرة. (د.ت)